صحيفة المرأة المسلمة

العدد : ٢١٤ الموافق في رجب ١٤٢٠ هجري ١١ / ١٩٩٩ ميلادي

خاطرة في التربية : الطهارة	بقلم : متولي موسى

الطهارة

معشر الآباء : إن العلاقة الأسرية ليست بين الرجل والمرأة فقط حتى نتكلم عن العشرة وكفى! وإنما هي علاقة متعددة الأطراف ، ولها آثارها على الأجيال ، ولعل ما نجده في كتب التراث تحت عناوين « حقوق الآباء على الأبناء » و « حقوق الأبناء على الآباء » ، يكشف لنا عن بعض أطراف هذه العلاقة المتعددة الأطراف المذكورة .

ولا شك أن الحديث عن جوانب من التربية مفقودة في هذه العلاقة ، أو موجودة بصورة غير مقبولة ، بحمل الآباء على استكمال جوانب تربوية تحتاج إلى جهد كبير وهو **أمر صعب للغاية** ، لأنه يطالبنا معشر الآباء بتغيير سلوك نشأنا وتربينا عليه ، وسوف أقتصر هنا على ضرب مثل واحد له أبعاده التربوية والسلوكية داخل الأسرة ويتعلق بالطهارة .

أولاً : الطهارة لغة وشرعاً

١- **الطهارة في اللغة** معناها : النظافة والنزاهة والنقاء ، يقال فلان طاهر الثوب أو الذيل أو العرض ؛ أي بريء من العيوب ، نزيه شريف .

٢- **الطهارة في الشرع** على ضربين : طهارة حسية وطهارة معنوية .

* **الطهارة الحسية** ، وتعني : طهارة البدن والثوب والبقعة ، وهي نوعان :

أ- إزالة وصف يمنع الصلاة ونحوها مما يستلزم الطهارة .

ب- إزالة خبث .

والحديث عن هذا النوع من الطهارة الحسية مستفيض وعام وسمع به كل المسلمين تقريباً ، بل ومسموح بتعليمه وتدريسه في المدارس والمساجد فضلاً عن البيوت .

* **الطهارة المعنوية** ، وتشمل طهارة القلب من الشرك والبدع في الدين فيما يتعلق بحق الله تعالى ، وهذا هو أعظم أنواع الطهارة لأنه هو الذي تُبنى عليه العبادة { **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة** } [البينة : ٥] ، فلا تصح عبادة من شخص قلبه ملوث بالشرك ، ولا تقبل بدعة يتقرب بها الإنسان إلى الله عزَّ وجلَّ لأنها ليست

مما شرعه ، قال تعالى : { **وما منعهم أن تُقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون** } [التوبة : ٥٤] . وقال النبي ﷺ : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » (متفق عليه) ، وفي رواية لمسلم « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » .

وبناء على ذلك فالمشرك بالله شركاً أكبر لا تقبل عبادته وإن صلى وزكى وصام وحج ، ومن كان يدعو غير الله عزَّ وجلَّ أو يعبد غيره ، فإنه لا تُقْبَل منه طاعاته ولو كان مخلصاً فيها ، قال تعالى : { ... **ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** } [البقرة : ٢١٧] .

ولقد وصف الله تعالى المشركين بأنهم نجس فقال سبحانه : { **يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا** ... } [التوبة : ٢٨] . ونفى النبي ﷺ النجاسة بهذا المعنى عن المؤمن ، فقد ورد في صحيح البخاري ، عن أبي هريرة ﷺ قال « لَقِيَني رسول الله ﷺ وأنا جنب فأخذ بيدي فمشيت معه حتى قعد ، فانسللت ، فأتيت الرّحل ، فاغتسلت ثم جئت وهو قاعد فقال : أين كنت يا أبا هريرة ؟ قلت : كنت جُنُباً فكرهت أن أجالسك وأنا على غير طهارة . فقال : سبحان الله! إن المسلم لا ينجس » .

ويشمل هذا النوع من الطهارة أيضاً : طهارة القلب من أعمال الكفر والنفاق والحسد والبغض والكره وغيرها تجاه عباد الله الذين لا يستحقون منه ذلك ، لأن هذه كلها صفات ذميمة ليست من أخلاق المؤمن ، وقد نفى رسول الله ﷺ الإيمان عن المؤمن حتى يُحب لأخيه ما يحب لنفسه فقال ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » (متفق عليه) ، وفي الحديث الذي رواه مسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبْر ، قال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة ، قال : إن الله جميل يحب الجمال . الكِبْرُ بَطَرُ الحق وغَمْطُ الناس » . وبطر الحق : هو دفعه وإنكاره ترفعاً وتجبراً ، وغمط الناس : احتقارهم .

ثانياً : التطبيق في الواقع

إن المستقرئ لواقع المسلمين يرى كثيراً من أهل الخير والعبادة عندهم زهد ، ويترددون على المساجد ليعمروها بالقراءة والذكر والصلاة ، ولكن لديهم حقد وحسد وبغضاء لإخوانهم المسلمين ، أو يكون لديهم الكبر الذي يجعلهم يحتقرون الآخرين - وربما يوجد ذلك داخل الأسرة ولا حول ولا قوة إلا

بالله - وهذا خلل كبير في التربية وينعكس على السلوك ، ولقد أرشد الله تعالى إلى صورة تطبيقية عملية لنأخذ منها الدرس والعبرة فقال تعالى : { **واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتُقُبِّل من أحدهما ولم يُتَقبَّل من الآخر ، قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين ۞ لئن بسطت إليَّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يديَ إليك لأقتلك إني أخاف الله ربَّ العالمين ۞ إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين** } [المائدة :٢٧-٢٩]

كما أن الرسول ﷺ طالب المسلمين بتحقيق طهارة القلب ، فقد ورد عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبعْ بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخواناً ، المسلم أخو المسلم : لا يظلمُهُ ولا يحقره ولا يخذله . التقوى ههنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرىءٍ من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » الحديث رواه مسلم في صحيحه . والنجش أن يزيد في ثمن سلعة ينادى عليها في السوق ونحوه ولا رغبة له في شرائها بل يقصد أن يَغُرَّ غيره وهذا حرام . والتدابر أن يعرض عن الإنسان ويهجره ويجعله كالشيء الذي وراء الظهر والدبر .

ولا شك أن التخلق بهذه الأخلاق وحمل النفس عليها ليس أمراً سهلاً ، وإنما يحتاج إلى جهد ومجاهدة ، ولا شك أن الله تعالى يعين الإنسان إذا أخلص القصد والنية وأخذ بالأسباب ، ففي الحديث : « إنما العلم بالتعلم ، وإنما الحلم بالتحلم ، ومن يتحرَّ الخير يُعْطَهُ ، ومن يَتَّق الشر يُوَقَّهُ » (سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣٤٢) .

لا بد من الاهتمام بطهارة القلب قبل الاهتمام بطهارة البدن والثوب والبقعة ، وذلك بتصحيح العقيدة وغرس التوحيد في القلب ، وهذا الذي أمر به النبي ﷺ معاذاً ﷺ حين بعثه إلى اليمن فقال له : « إنك تَقْدُمُ على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى ، فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم ، فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة أموالهم ، تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم ، فإذا أقروا بذلك فخذ منهم وتوقَّ كرائم الناس » (رواه البخاري في صحيحه) .

ونصيحتي لنفسي وإخواني وأخواتي أن نحقق ذلك في أنفسنا حتى نكون قدوة لغيرنا وخاصة الأبناء . وعلينا كما نعمل على تطهير ملابس أبنائنا ونحرص على ذلك ان نطهر قلوبهم وألسنتهم ، والله الموفق ، والحمد لله تعالى .